شـــرح

كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿بِيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل].

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان].

قال الشارح وفقه الله:

يقول شَيْخ الإسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿بِيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل]) الله ﷻ منَّ أي أكرمَ إكرامًا كبيرًا عباده بأنْ أنزل إليهم هذا الكتاب الذي هو كلام ربنا ﷻ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أيضًا رحمة للعالمين وهدىً ورحمة وبُشرى للمسلمين، وهو هدىً للناس أجمعين لمن أراد أن يهتدي، فإنه من قرأ القرآن وتدبره حصلت له الهداية إن كان صادقًا وهو رحمة، أي أنه إذا قرأه المسلم وعمِلَ به حصلت له الرحمة، لأن هذا من الإحسان، وهذا يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

وهو بُشرى للمسلمين الذين أخذوا بالقرآن وعملوا به، فاجتنبوا الشرك واجتنبوا البدع، واجتهدوا في اجتناب المعاصي.

قال: (فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا) كما قال الله ﷻ عما حصل لإبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨] الله ﷻ بين أن الكافر بُهت، والقرآن أعظم مما احتج به إبراهيم، فإن هذا القرآن كلام الله ﷻ، وبيان كل شيء فيه كما قيل: فيه خبر من قبلكم ونبأ ما بعدكم، وفصل ما بينكم، وهو الجد ليس بالهزل.

فالقرآن هو أعظمُ مصادر الهداية، والشفاء، والرحمة، والثبات، فإن القرآن من أخذ به كان له الخير

كله كل الخير في الدنيا والآخرة، النبي ﷺ بين أن حتى المنافق الذي يقرأ القرآن في الدنيا هو ينتفع بذلك في الدنيا، لكن لا ينتفع به في الآخرة، إنما في الدنيا ينتفع به، لذلك ينبغي على المسلم أن يهتم بأمر القرآن فيه كل ما يحتاجه المسلم من مصادر العلم من الثبات، من بيان كيف تُرد الشبه، كل ذلك في القرآن، لكن يحتاج إلى قراءة بتدبر، كما قال الله ﷻ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء:٨٢]، ثم قال: كما قال تعالى: (﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان]) لا يأتونك بمثل لمضاعدة ما هم عليه من الباطل إلا جئناك بالحق وأحسنَ تفسيرًا مما ذهبوا إليه، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة، وهذا صح كل حجةٍ يأتي بها أهل الباطل ففي القرآن ما ينقضها، يعني مثلًا أهل الباطل اليوم يقولون: بأن الإنسان وُجد بالطبيعة، والله ﷻ في القرآن أن هذا غير صحيح، وهو أيضًا منقوض بنص القرآن، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] وفي أنفسهم، وهم يعلمون من أنفسهم أن خلقهم دقيق ليس مما يُمكن أن يوجد صُدفة، لأن الواحد منهم إذا قيل له: إن الهاتف النقال أو المحمود الذي بين يديك أو ما يُسمى بالهاتف الذكي وُجد صدفةً ما قبل تقول: ما يُمكن أن هذا يوجد صدفة، هذا وراءه عقول جبارة كثيرة، يعني عملت أزمنة طويلة حتى وصلوا إلى هذا الابتكار والاختراع، ولكنه في نفس الوقت هو يُجادل ليقول: بأنه هو نفسه وُجد صدفة، الجهاز الذي فعلته أنت ما وُجد صدفة، وأنت نفسك وُجدت صدفة، هذا غير ممكن.

هذا واحد من الأمثلة التي بينها الله ﷻ في القرآن، ومن هذا كثير، كلما جاء به الكفار نقضه القرآن وبين عواره وضعفه وزيفه.

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا؛ فَنَقُولُ:

جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرَ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾[آل عمران:٧].

قال الشارح وفقه الله:

عقد هذا الفصل لبيان شيء من هذه الأجوبة على المشركين، قال: جواب مجمل على احتجاج المشركين بالمتشابه، المتشابه في القرآن يعني الذي يُشكل.

قال: (وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا) يقول: (فنقول) المشركون في هذا الزَّمن يحتجُّون على أهل السُّنة بهذه الأمور التي هي في حقيقة الأمرِ واضحة لذوي الألباب ولذوي الإيمان الصحيح، ولذي القلوب النقية الصادقة، لكن الذي في قلبه زيغ هذا يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، يعني الكلام المُجمل العام.

قال: (جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرَ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا) يعني لمن فهمها فهمًا جيدًا، وذلك قوله تعالى: (﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) (محكمات) يعني واضحة الدلالة، (﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[آل

عمران:٧]) الله ﷻ يُخبرنا عن هذا القرآن العظيم أنه كله مُحكم كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١] يعني جاء التفصيل فيها والشرح والبيان ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١] فهو مُشتملٌ على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وكل القرآن مُتشابه في الحُسن والبلاغة، ويُصدق بعضه بعضًا، ويُطابق بعضه بعضًا لفظًا ومعنىً، والإحكام والمُتشابه المذكور في الآية القرآن الكريم كما قال الله ﷻ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾؛ أي: واضحة الدلالة والمعنى يفهمها كل أحد ليس فيها شُبهة ولا إشكال.

قال: (﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾) الأم هو أصل الشيء، أم القرى أصل القرى، أم الكتاب أصل الكتاب يعني المجتمع فيه كل المعاني، لذلك الفاتحة سُميت أم الكتاب لأنه يجتمع فيها كل معاني القرآن، ولا يعني هذا أنها تغني عن بعض القرآن، لكن كل معاني القرآن تجتمع فيها.

قال: (﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾) أي أصله الذي يرجع إليه كل مُتشابه، إذا وجدنا متشابه نرجعه إلى المُحكم يتبين، وهو معظمه وأكثره.

(﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾) يلتبس معناها على كثير من الأذهان تكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المعنى المقصود والمُراد.

والحاصل أن هذه الآيات آيات القرآن منها ما هو واضحٌ، ومنها ما يحتاج إلى تبيين، والواضح أكثر من المُتشابه، ولكن هناك آيات تحتاج تقولون: **القرآن ثلاثة أقسام**:

- قسمٌ يعلمه جميع الناس العامي والمُتعلم، وهذا الأكثر، لأن القرآن نَزل ليُفهم ليتدبر، فأي إنسان يعرف لغة العرب لما يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، يعلم أنه يجب ألا نستعين بأحد ولا نعبد أحد، لا يصرف شيء من العبادة لغير الله، هذا واضح لا يحتاج إلى توضيح وشرح.. وكذا.

وهناك آيات قد يكون المعنى فيها غير واضح، إلا لأهل العلم الراسخين فيه، كما حصل مع عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] قال: ما أدري ما أبًّا، فبين ابن عباس وهو صغير

في السن بين ما الأب، فهذا بينه بلغة العرب ابن عباس كان يحفظ أشعار العرب، ويحفظ حتى الذين قبل الإسلام، فبين معنى الأب وهو أنه النبات الذي لا ساق له، ولا جذور، يعني شجرة، وهذا قليل، وأيضًا هذا يعلمه أهل العلم.

وهناك قسمٌ وهو الأقل جدًا في القرآن لا يعلمه إلا الله، مثل الحروق المقطعة (ألم) وغير ذلك مما لا يعلمه ولا عامي، بل أمرُه موكل إلى الله ﷻ.

والآن بعض الناس يأتون إلى أشياء مثلًا حسابات وأرقام وكذا، ويُريدون بذلك أن يقولوا: بأنهم توصلوا لشيء ويعرفوا أشياء لا يعرفها أهل العلم وهي من المُتشابه، لكن هذا ليس صحيحًا، لأن كل ما لم يعلمه الصحابة من القرآن فهو ليس من القرآن، ولا يُمكن أنْ يكون الله ﷻ أخَّر فهمه إلى هذا الزمان، لا يُمكن أن الله ﷻ ترك كل الأجيال ألف وأربعمائة سنة لم يعلموه حتى يأتي واحد اليوم ويقول: أنا آتيكم ببيانه هذا غير مُمكن.

وأيضًا قال: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ) هذا فيه للعلماء قولان:

الجمهور يقفون عند هذا، وبعضهم يقفون هنا عند قوله: (إلا الله) وبعضهم يعطفها على قوله: (﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾)، وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أُريد به علم حقيقة الشيء وكُنهه كان الصواب الوقوف على قوله: (الله) إذا كنا نُريد حقيقة الشيء، والعلم بكنهه يعني ما هو كيف هو، وكذا، فهذا لا يُمكن أن يعلمه إلا الله كما قال الله ﷻ: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، وغيرها من الآيات التي بين الله ﷻ فيها حتى عدم علم النبي ﷺ كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

إذًا النبي ﷺ لا يعلم عنها شيء، هذه من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، مثلًا أسماء الواردة في القرآن ليست هي كل أسماء الله، كان النبي ﷺ يقول: «اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، إذًا هناك أسماء يعرفها كل الناس، هناك أسماء

يعرفها بعض الناس الذين علَّمهم الله الأنبياء، وهناك أسماء لا يعلمها إلا الله.. وهكذا القرآن هناك آيات مُشتركة يعلمها الكل حتى غير المُتعلم يعلمها.

وهناك بعضهم يعلمها العلماء فقط، وكلما ازداد الإنسان رسوخًا في العلم كلما ازداد فهمًا لها أكثر، وهناك أمور لا يعلمها إلا الله، وهذه الأقل جدًا جدًا، لماذا الأقل؟ لأن الله ﷻ أنزل القرآن ليُفهم، ويؤثر في القلوب، فإذا لم يكن يُعلم معناه، كيف سيؤثر في قلوب السامعين أو التالين له؟

قال: (﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾) هذا فيما يُمكن، قلنا: هناك حيِّز أكبر من ذاك الذي لا يعلمه إلا الله فقط، هناك حيز أكبر منه يعلمه الله ويعلمه العلماء، وهناك حيِّز أكبر وهو الذي يعلمه حتى عوام المسلمين.

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس]، أَوْ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ: إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لا تَفْهَمُ مَعَنَى الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ لَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُم بِتَعَلُّقِهِم عَلَى المَلائِكَةِ أَوِ الأَنْبِياءِ أَوِ الأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨]، وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَهُ لِي أَيُّهَا المُشْرِكُ مِنَ القُرْآنِ أَوْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، ولكن أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ

لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللهِ ﷻ.

قال الشارح وفقه الله:

معنى: (سَمَّى اللهُ) يعني في تلك الآية إذ قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾) هؤلاء هم الذين سماهم الله أهل زيغ أهل ضلال، يحرصون دائمًا على المُتشابه لا يريدون الواضح البين الذي يعرف معناه كل أحد، وإنما يحرصون على المُتشابه حتى يُلبسوا على الناس، ولذلك قال النبي ﷺ: «فاحذروهم» يعني لا تأتوهم ولا تسمعوا لهم، ولهذا ذُكر عن أيوب السختياني أو غيره أنه أتاه رجل وقال: أُريد أن أسألك عن آية من كتاب الله فوضع أصبعيه في أُذنيه فقال: ولا نصف آية، وفي رواية قال: «ولا نصف كلمة» فقيل له بعدما ذهب الرجل: قيل له: يسألك عن آية أو كذا، قال: أخشى أن يقول كلمة فتقع في قلبي فلا تخرج منه أبدًا، من كلمات الضلال، لأن أهل الباطل هذا شأنهم أنهم يأتون أهل الحق، فيُلبسون عليهم حتى يُخرجوهم من دائرة الاعتقاد الصحيح إلى دائرة الضلال - والعياذ بالله-.

ولعلنا نقف هنا إن شاء الله.

ونواصل غدًا.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه